كتاب التوحيد

كما أنزل علىٰ قلب رسول الله ﷺ

كتاب التوحيد

كما أنزل علىٰ قلب رسول الله ﷺ

إعداد وتحقيق

الدكتورة: شرين لبيب خورشيد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرض ورب السماء، خلق آدم وعلمه الأسماء وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة دار البقاء...

وحذره من الشيطان ألد الأعداء، ثم أنفذ فيه ما سبق به القضاء، فأهبطه إلىٰ دار الابتلاء...

وجعل الدنيا لذريته دار عمل لا دار جزاء، وتجلت رحمته بهم فتوالت الرسل والأنبياء...

وما منهم أحد إلا جاء معه بفرقان وضياء، ثم ختمت الرسالات بالشريعة الغراء...

ونزل القرآن لما في الصدور شفاء، فأضاءت به قلوب المؤمنين والأتقياء...

وترطبت بآياته ألسنة الذاكرين والذاكرات، ونهل من فيض نوره العلماء والحكماء...

نحمده تبارك وتعالىٰ علىٰ النعماء والسراء، ونستعينه علىٰ البأساء والضراء...

ونعوذ بنور وجهه الكريم من جَهد البلاء، ودرك الشقاء، وعضال الداء، وشماتة الأعداء...

ونسأله عيش السعداء، وموت الشهداء، والفوز في القضاء، وأن يسلك بنا طريق الأولياء الأصفياء...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ليس له أنداد ولا أشباه ولا شركاء...

خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علىٰ الماء....

خلق الخلق فمنهم السعداء ومنهم الأشقياء....

محيط بخلقه فليس لهارب منه نجاء....

قادر مقتدر فكل الممكنات في قدرته سواء....

سميع بصير يرىٰ النملة السوداء في الليلة الظلماء...

ويسمع دبيبها علىٰ الصخرة الصماء...

أجرىٰ الأمور بحكمته وقسم الأرزاق وفق مشيئته بغير عناء...

لا يشغله شأن عن شأن، فكل شيء خُلق بقدَر، وكل أمر جرىٰ بقضاء...

وأشهد أن سيدنا محمدًا خاتم الرسل والأنبياء...

وإمام المجاهدين والأتقياء...

والشهيد يوم القيامة علىٰ الشهداء...

المعصوم صلىٰ الله عليه وسلم فما أخطأ قطُّ وما أساء...

دعا أصحابه إلىٰ الهدىٰ فلبَّوُا النداء....

فإذا ذاته رحمة لهم ونور، وإذا سلوكه إشراق وضياء....

هو القدوة النيرة في الصبر علىٰ البلاء، والعمل لدار البقاء...

وهو الأسوة المشرقة في الزهد في دار الفَناء...

فكم مرت شهور ولا طعام له ولأهل بيته إلا التمر والماء...

اشتهر من قبل البعثة بالصدق، فلم يعرف عنه كذب ولا نفاق ولا رياء...

لم يؤثر عنه غدر، بل إخلاص وأمانة ووفاء...

صلىٰ الله عليه قديمًا، وكذا الملائكة في السماء....

وصلىٰ هو في المسجد الأقصىٰ بالرسل والأنبياء...

سبح الحصىٰ في كفه بخير الأسماء...

وحين ظمئ أصحابه نبع من بين أصابعه الماء...

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحابته الأجلاء...

وعلىٰ السائرين علىٰ دربه والداعين بدعوته إلىٰ يوم اللقاء...

ما تعاقب الصبح والمساء، وما دام في الكون ظلمة وضياء..[1].

***

أما بعد :

بفضل من الله تعالىٰ منذ سنوات حين أنهيت مناقشة رسالة الماجستير(حقيقة المهدي في الشّرائع الثلاث)،وأنا أبحث عن كتاب لتوحيد الله عزّ وجلّ ميسّر ،مبسّط لطالب العلم ،والمعرفة ،وخاصّة أن يكون قد سطّر منذ بداية الخلق ،ومعرفة أصل الكون ،ولا أخفي علىٰ القارئ كثرة المصادر التي تجد في كل مصدر منها معلومات قيّمة ،ولكنّها مفرّقة في عدّة مصادر.

لذا ارتأيت البدء بإعداد هذا الكتاب علَّه يجمع جميع المعلومات في كتاب واحد يسهّل علىٰ كلّ من يقتنيه سهولة المعلومة ومتابعتها منذ بداية الخلق إلىٰ يومنا هذا وبالله التّوفيق والسّداد لما يحبّه ويرضاه ، مع محاولة تبسيط المعلومة ليتيسر لكلّ فرد قراءته بيسر وسهولة مع اتّخاذ مصدرين أساسيين في منهجية هذا الكتاب ألا وهما :

---

(١) سلامة، مراد، الدرر البهية من المقدمات المنبرية، شبكة الألوكة/ www.aluka.net ص٢٣.

كتاب الله ، وسنّة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم،مع الحرص علىٰ متابعة سيرة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم للتّعرّف علىٰ المنهجيّة الّتي نرىٰ بها الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم في تصديق ماأخبر الله عزّ وجلّ من أمور غيبية لايرونها بحواسّهم الخمسة ، وتصديق ما أخبر به رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم.

وفي الختام فإن كان من صواب في هذه الدّراسة فمن الله عزّ وجلّ الّذي هداني لهذا ، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله ،وإن كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان.

والله من وراء القصد ،وما توفيقي ولا اعتمادي إلّا علىٰ الله .

ربّنا تقبّل منّا أعمالنا ،واجعلها خالصة لوجهك الكريم ،اللّهمّ أخلص نيّاتنا وقلوبنا من حبّ الدّنيا وشهواتها واجعل علمنا وعملنا دومًا ابتغاء وجهك الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

*****

توحيد الله عزّ وجلّ

كما أنزل علىٰ قلب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلّم

كتاب بداية الخلق:

-باب أصل الكون.

-باب علم الله الأزليّ.

-باب الإيمان بالغيب .

- باب خلق القلم، واللوح المحفوظ.

- باب كتابة المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام.

- باب خلق التّربة يوم السّبت.

- باب مراحل خلق آدم عليه السّلام .

- باب خلق الملائكة.

- باب خلق إبليس.
- باب خلق الجنّة والنّار .
- باب خلق السّموات والأرض.
- باب عرض الأمانة .
- باب الفطرة .
- باب إنّي جاعل في الأرض خليفة.
- باب سجود الملائكة لآدم عليه السّلام ووظيفة كلّ ملك.
- باب استكبار إبليس والحوار الّذي دار مع إبليس.
- باب سكن آدم عليه السّلام وزوجه في الجنّة .
- باب ممّ خلقت حوّاء.
- باب وسوسة إبليس لآدم وحواء عليهما السّلام.
- باب هبوط آدم وزوجه إلىٰ الأرض.
- باب هدي الله عزّ وجلّ ، ومعرفة الصّراط المستقيم.

كتاب ممّ يتكوّن الإنسان

باب : مدخل لمعرفة الأقسام والأجزاء الّتي يتكوّن منها الإنسان.

باب : القلب من الجانب المحسوس.

باب : القلب من الجانب الغيبيّ .

باب : مركز الخواطر وحديث النّفس : _ النّازعان _ الهاتفان .

باب : حديث النّفس.

باب : المنطقة الثّانية من الجانب الغيبيّ من القلب (منطقة الكسب وأعمال القلوب)

باب : صفات القلب .

باب : العقل.

باب : النّفس في القرآن .

باب : صفات النّفس .

باب : أحوال النّفس _ النفس المطمئنّة .

_ النّفس اللّوّامة .

_ النّفس الأمّارة بالسّوء.

باب : منافذ النّفس .

باب : كيف يكتسب الإنسان أعماله .

كتاب الأسماء والصّفات .

باب : معنىٰ الوصف والاسم والفرق بينهما.

باب : قواعد عامّة في الصّفات .

باب : صفات الذّات .

باب : صفات الأفعال .

باب : وجوب الإيمان بصفات الله عزّ وجلّ .

باب : أسماء الله عزّ وجلّ الثّابتة في الكتاب والسّنّة .

باب : منهج الله عزّ وجلّ في الإيمان بأسماء الله عزّ وجلّ .

باب : الدّعاء بأسماء الله الحسنىٰ الثّابتة في الكتاب والسّنّة .

باب : مراتب إحصاء أسماء الله عزّ وجلّ الثّابتة في الكتاب والسّنّة .

*****

باب أصل الكون

بداية الخلق قبل وجود السّموات والأرض لم يذكر فيها الحقّ سبحانه وتعالىٰ سوىٰ العرش والماء ، في حديث رواه البخاريّ عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم قوله: (**كان الله ولم يكن شيء وكان عرشه علىٰ الماء وكتب في الذّكر كلّ شيء وخلق السّموات والأرض**)[1].

(كان الله ولم يكن قبله شيء)

إنّ الله هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن ..... الأوّل ليس له بداية ، فليس قبله شيء ، والآخر فليس له نهاية ، وليس بعده شيء ، وهو الظّاهر فليس فوقه شيء ، وهو الباطن ، فليس دونه شيء .....لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أو ندّاً ، أو مثيلاً أو شبيهاً .

هو الله الّذي لاإله إلّا هو ، لاشريك له ، الحيّ الباقي ، المالك لكلّ شيء ، في السّموات والأرض ، وفي الدّنيا والآخرة .

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالىٰ: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، حديث رقم (٣١٩١).

كان الله ولم يكن قبله شيء ، لأنّ كلّ ماسواه مخلوق ، والله هو الّذي خلقه ، وكان الله ولم يكن معه شيء ، فهو الأحد المنفرد بالوحدانيّة[١] .

(صفاته كذاته قديمة ، أسماؤه ثابتة عظيمة)[٢].

فصفاته كلّها قديمة[٣].....، في الأزل.....فإنّ الله لم يزل ولايزال له الصّفات قبل أن يخلق السّماء الدّنيا والأرض..... فصفات الله أزليّة أبديّة ....فما زال بصفاته قبل خلقهم . لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته. كما كان بصفاته أزليّاً، كذلك لايزال عليها أبديّاً.....[٤].

فصفات الله أزليّة قائمة بذاته فهو متّصف بها منذ الأزل ، ويبقىٰ متّصفاً بها إلىٰ الأبد ،.....قبل خلق الزّمان والمكان ولا يتصور ورود زمان لم يتّصف فيه بهذه الصّفات ، لأنّها صفات كمال ، وصفات الكمال لاتزول عنه سبحانه ،لأنّ فقدها نقص ، والله منزّه عن النّقص.

---

(١) الخالدي صلاح عبد الفتّاح ، سيرة آدم عليه السّلام، مؤسّسة الورّاق للنّشر والتّوزيع والأردن ٢٠٠٣ م ،ص ٩ بتصرف

(٢) السّفاريني ، محمّد، لوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثريّة ، الرّياض ، السّعوديّة، دار الخاني للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الثالثة ، ص١١٢ بتصرّف .

(٣) المرجع السّابق ص١١٢ في الهامش بتصرّف.

(٤) الخالدي صلاح عبد الفتاح ، القبسات السّنيّة من شرح العقيدة الطّحاويّة ، ص٦٩

ينطبق هذا على صفات الذّات[١] الّتي تتعلّق بذاته سبحانه كالعلم والحياة ، والسّمع والبصر، فهو موصوف بها منذ الأزل وإلى الأبد كما ينطبق هذا على صفات الفعل ،الّتي تتعلّق بأفعاله[٢]...فهذه الصّفات أزليّة أبديّة[٣].

كان الله ولم يكن معه شيء ، فهو الأحد المنفرد بالوحدانيّة ، وكلّ ماسواه مخلوق،[٤].....

مرّت على هذا الوجود فترة زمنيّة ليس فيها إلّا الله تعالى ، وحده لاشريك له .

أحبّ الله عزّ وجلّ أن تظهر آثار أسمائه ، وآثار رحمته ، وآثار قدرته ، وآثار حكمته ، وآثار جبروته ، فلذلك خلق الخلق ليرحم الخلق ، ليظهر علمه وحكمته وجبروته وقدرته ، وهو عزّ وجلّ غنيّ عن جميع مخلوقاته ، أراد الله الحكيم خلق هذا الوجود ، لحكمة

(١) كالخلق زالرّزق ، والإحياء والإماتة والغضب والرّضا،.....

(٢) الخالدي ، صلاح عبد الفتّاح ، القبسات السّنيّة من شرح العقيدة الطّحاويّة ، دمشق ، دار القلم ،الطّبعة الأولى ١٤٢١ _٢٠٠٠م ص٦٩ بتصرّف.

(٣) الصّفات هي عين الذّات فلا يتصوّر وجود ذات بدون صفات ،فهي ملازمة لها،ولهذا هي أزليّة أبديّة. الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، القبسات السّنيّة في شرح العقيدة الطّحاويّة ص٧٠ (سنتحدّث عن الصّفات بالتّفصيل في كتاب الأسماء والصّفات)

(٤) الخالدي ، صلاح عبد الفتّاح ، سيرة آدم عليه السّلام ، ص٩ .

يريدها سبحانه ، فالله خلق الخلق ليعرفوه ، فأوجده متقناً مرتّباً منظّماً متناسقاً ، وهذه هي الغاية المطلوبة منهم ، فلم يخلقهم لهواً ولاعبثاً ولا لعباً سبحانه[١].

مرّت علىٰ هذا الوجود فترة زمنيّة ليس فيها إلّا الله تعالىٰ ، وحده لاشريك له ....ليس فيها شيء ، ولا يعلم مدّة هذه الفترة الزّمنيّة إلّا الله وحده ، لأنّه هو الّذي قدّرها وأرادها[٢].

ثمّ أراد الله خلق هذا الوجود ، فخلق ماءً وخلق دخاناً ، وخلق عرشه العظيم الكريم ، ووضع عرشه علىٰ ذلك الماء ، ولا نعرف كمّية ذلك الماء ولا مكانه ، ولا من أين خلقه ، كلّ ما نعرفه أنّ ذلك الماء مخلوق ، وأنّ عرشه كان علىٰ ذلك الماء[٣].

فقد ورد ذلك في حديث صحيح عن البخاريّ[٤]، في كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في قوله تعالىٰ : {وهو الّذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده .....} (الرّوم :٢٧).

---

(١) الخالدي ، صلاح عبد الفتّاح ، سيرة آدم عليه السّلام، ص٩ .بتصرّف لتصل الفكرة للقارئ.

(٢) المرجع السابق، ص ٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٩.

(٤) تم تخريجه سابقا.

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : جاء نفرٌ من بني تميم إلىٰ النّبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم . فقال : (**يابني تميم أبشروا**)، قالوا : بشّرتنا فأعطنا ، فتغيّر وجهه ، فجاءه أهل اليمن ، فقال : (**ياأهل اليمن ، أقبلوا البشرىٰ إذ لم يقبلها بنو تميم**) . قالوا : قبلنا ، فأخذ النّبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم يحدث بدء الخلق والعرش ، فجاء رجل فقال : ياعمران راحلتك تفلّتت ، ليتني لم أقم .

وفي حديث عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : دخلت علىٰ النّبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم وعقلت ناقتي بالباب ، فأتاه ناسٌ من بني تميم ، فقال : (**اقبلوا البشرىٰ يابني تميم**). قالوا : قد بشّرتنا فأعطنا، مرّتين، ثمّ دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن ، فقال : (**اقبلوا البشرىٰ ياأهل اليمن ، إذ لم يقبلها بنو تميم**). قالوا : قد قبلنا يارسول الله ، قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر ، قال : (**كان الله ولم يكن شيءٌ غيره ، وكان عرشه علىٰ الماء ، وكتب في الذّكر كلّ شيء ، وخلق السّموات والأرض**) .

فنادىٰ منادٍ : ذهبت ناقتك يابن حصين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السّراب ، فوالله لوددت أنّي كنت تركتها[1].

---

(١) سبق تخريجه سابقا.

باب علم الله الأزليّ

علم الله الأزليّ صفة ذاتيّة ثابتة لله عزّ وجلّ بالكتاب والسّنّة ، ومن أسمائه (العليم)[١].

علم الله الأزليّ ، يجب الجزم بأنّه تعالىٰ عالم بعلم واحد.....[٢].

كان الله عالما بخلقه قبل خلقهم ، فالله خلق الخلق علىٰ غاية الإحكام والاتقان ، بعلمه ، {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} (الملك : ١٤).

وأخبرنا الله أنّ علمه شامل لكلّ شيء[٣]

فالله عزّ وجلّ علم ماكان وما يكون وما لو لم يكن كيف كان يكون. قال ابن كثير في تفسيره : {ألم تعلم أنّ الله يعلم مافي السّموات والأرض إنّ ذلك علىٰ الله يسير} (سورة الحج : ٧٠).

---

(١) السّقّاف ، علويّ بن عبد القادر ، صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسّنّة، المملكة العربية السعوديّة ، الدرر السّنيّة، الطبعة الثّالثة ، ١٤٢٦ _ ٢٠٠٥ م ، ص٢٥٥

(٢) السّفاريني ، لوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثريّة ، ص ١٤٥.

(٣) الخالدي ، عبد الفتّاح ، القبسات السّنّيّة في شرح العقيدة الطّحاويّة ص ٧٩ بتصرّف.

وهذا من تمام علمه تعالىٰ أنّه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضاً فما العباد عاملون قد علمه الله تعالىٰ قبل ذلك علىٰ الوجه الّذي يفعلونه فيعلم قبل الخلق أنّ هذا يطيع باختياره وهذا يعصي باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكلّ شيء علماً وهو سهل عليه يسير لديه[1].

وقال تعالىٰ : {إنّك أنت علّام الغيوب} (المائدة : ١٠٩).

والغيوب جمع غيب وقد فسّرها الإمام القرطبيّ بمراتب العلم الإلهيّ .

فقال : (يعلم ماكان ، وما يكون ، وما هو كائن ، وما لو لم يكن كيف كان يكون)[2].

وقال أبو الحسن الأشعريّ: (وندين لله عزّ وجلّ بأنّه يعلم ما العباد عاملون ، وإلىٰ ماهم صائرون ، وما كان وما يكون ، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة : (إنّ علم الله تعالىٰ السّابق محيط بالأشياء علىٰ ماهي عليه ، ولا محو فيه ولا تغيير ، ولا زيادة ولا نقص

---

(١) ابن كثير ، الحافظ أبي الفداء ، اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار المعرفة، الطّبعة الثّالثة ، ١٤٠٩ _ ١٩٨٩ م الجزء الثّالث، ٢٤٥

(٢) القرطبيّ ، تفسير القرطبي ٧/ ٢ بتصرف.

، فإنّه سبحانه يعلم ماكان ، وما يكون ، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون)[١].

وقال ابن القيّم : (عالم بكلّ شيء ، يعلم السّرّ وأخفىٰ ، ويعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ، ولا متحرك إلّا هو يعلمه علىٰ حقيقته)[٢].

وقال الإمام الطحاوي: (ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم... فإنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون)[٣].

وقال الإمام النووي: (فهو سبحانه علم ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وذلك لتفرده بعلم الغيوب)[٤].

وقال الشيخ حافظ حكمي عن مراتب القدر، وما قدره الله من أمور الخلائق، وما تعلق بها من أمورالتقدير والتدبير: (المرتبة الأولىٰ

---

(١) انظر مختصر الفتاوىٰ المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٨٨، نشر دار ابن القيم الدمام، تحقيق محمد حامد الفقي.

(٢) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ لابن القيم ص١٥٩ نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ص١٥٢.

(٤) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٦/ ٢١١.

الإيمان بعلم الله عزَّ وجلَّ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم الله فعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم، وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنّة والنار، علم دق ذلك وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته، ومقتضىٰ اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب)[1].

(١) معارج القبول، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ٣/ ٩٢٠.